كيف تكون
ناجحًا ومحبوبًا
في الدعوة إلى الله

كيف تكون ناجحًا ومحبوبًا في الدعوة إلى الله

كل مسلم داعية إلى الله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[1].

إن من محاسن شريعة الإسلام التي أكمل الله بها الدين وأتم بها النعمة أنها أذنت لكل مسلم أن يكون داعية إلى الله تعالى وأن يدعو إلى هذا الدين الباقي إلى قيام الساعة، فلا يوجد في الإسلام احتكار للدعوة إلى الدين، ولا يمكن للإسلام أن يُختزل ويصبح من اختصاص صنف قليل من الناس يُسمَون رجال الدين - كما هو موجود عند غير المسلمين - ثم لا يكون لعامة المسلمين أي دخل في الدعوة الإسلامية؛ بل قال الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾[2] والمعروف: جميع الطاعات، وأول المعروف وأعظمه عبادة الله وحده لا شريك له، وإخلاص العبادة له وترك عبادة ما سواه. وبعد ذلك سائر الطاعات من واجبات ومستحبات كلها تدخل في نطاق المعروف، فكل ما أمر الله تعالى به أو أمر به رسوله ﷺ فإنه معروف. والمنكر: كل

---

(١) سورة فُصِّلت، الآية: ٣٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

ما نهى الله تعالى عنه ورسوله، فجميع المعاصي كبائرها وصغائرها منكر، وأعظم المنكر الشرك بالله عزَّ وجلَّ.

فهذه الآية مدح للأمة المحمدية ذكورها وإناثها؛ أنهم خير أمة خُلقت ووُجدت ما داموا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله، وعلى العكس من ذلك فهم لو تركوا هذه الصفات زال عنهم اسم المدح ولحقهم اسم الذم، وكان ذلك سببًا لهلاكهم كما حدث لبني إسرائيل الذين وصفهم الله عزَّ وجلَّ بأنهم ﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾[1] فقد ذمهم الله تعالى على عدم قيامهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليحذر المسلمون أن يرتكبوا مثل الذي ارتكبوه؛ ولهذا حذَّر رسول الله ﷺ المسلمين بلهجة شديدة فقال ﷺ: «**والذي نفسي بيده لتأمُرُنَّ بالمعروف ولَتَنْهَوُنَّ عن المنكر أو ليوشكنَّ الله أن يبعث عليكم عقابًا منه فتدعونه فلا يستجيب لكم**»[2]، وشرَّع ﷺ ثلاث درجات لتغيير المنكر حتى لا يبقى لأحد من المسلمين حجة في عدم تغيير المنكر؛ لأنه ليس هناك مسلم إلا ويستطيع تنفيذ الأمر بإحدى هذه المراتب الثلاث؛ قال ﷺ: «**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**»[3].

ففي الإسلام كل مسلم هو داعية ويمكنه أن يدعو إلى الدين، وأن يأمر بالمعروف، وأن ينهى عن المنكر، في أي مكان، وفي أي زمان، ولا يحتاج إلى إذن

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٧٩.

(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٧٦٢.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

أو تصريح أو ترخيص ليدعو إلى الله عزَّ وجلَّ؛ لأنه قد أخذ الإذن بل أُمر من الله تعالى ورسوله ﷺ بذلك بشرط أن يلتزم بالشروط التي حددها الإسلام، ويطبق القواعد والدرجات والآداب التي رسمها لهذه المهمة، وأن يعمل بالأسباب التي تؤدي إلى نجاح هذه المهمة الكبيرة والخطيرة التي كُلِّف بها الأنبياء والرسل منذ آدم عليه السلام إلى خاتم الأنبياء والرسل محمد ﷺ؛ ولا شك أن من يقوم بما قام به الأنبياء والرسل فسوف يكتب الله عزَّ وجلَّ له أجرًا عظيمًا لا يعلم قدره إلا هو سبحانه وتعالى.

إخلاص النية لله تعالى:

إن أول ما يجب على المسلم الذي يريد أن يدعو أحدًا من الناس إلى الله عزَّ وجلَّ أن تكون نيته خالصة لوجه الله تعالى لا أن تكون دعوته رياءً وسمعة ومن أجل أن يُمدح ويقال عنه كذا وكذا من الأوصاف الحسنة أو من أجل أن ينال بدعوته شيئًا من الدنيا؛ فقد قال رسول الله ﷺ: «**الأعمال بالنية، ولكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه**»[1]. فمن كان قصده الله تعالى من وراء دعوته فله الأجر والثواب، ومن كان قصده غير ذلك فالله تبارك وتعالى يكله إليه.

الصفات المطلوبة في الداعية:

هناك ثلاث صفات ينبغي أن يتحلى بها الداعية والآمر بالمعروف والناهي عن المنكر وهي:

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب ما جاء إن الأعمال بالنية والحسبة.

الصفة الأولى: العلم: أن يكون عالمًا بما يدعو إليه وبالمعروف الذي يأمر به، والمنكر الذي ينهى عنه، وذلك يختلف باختلاف الشيء؛ فإن كان من الواجبات الظاهرة كالصلاة والصيام ونحوها، والمحرمات المشهورة كالزنا والخمر ونحوها فكل المسلمين علماء بها. وإن كان من دقائق الأفعال والأقوال ومما يتعلق بالاجتهاد لم يكن للعوام مدخل فيه ولا لهم إنكاره بل ذلك للعلماء.

الصفة الثانية: الرفق: أن يكون رفيقًا حكيمًا بما يدعو إليه وبما يأمر به وفيما ينهى عنه ليكون أقرب إلى تحصيل المطلوب، قال الله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾[1]. وقال المصطفى ﷺ: «**إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا يُنـــزع من شيء إلا شانه**»[2]. قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: من وعظ أخاه سرًا فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه.

فلا بد من أن يدعو برفق ولين وحكمة، وبشفقة ولطف، من غير عنف وغضب، وأن لا يقصد بذلك الإذلال، وتمييز نفسه بالعلم، وإذلال صاحبه بالجهل.

الصفة الثالثة: الصبر: أن يكون صبورًا على الأذى. كما حكى الله سبحانه عن وصية لقمان الحكيم لابنه ليمتثلها الناس ويقتدوا بها لأنها وصية نافعة: ﴿يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب فضل الرفق.

ٱلْأُمُورِ﴾[١]. وأوصى بعض السلف بنيه فقال: إذا أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف فليوطن نفسه على الصبر وليثق بالثواب من الله، فمن وثق بالثواب من الله لم يجد مس الأذى.

فالعلم يكون قبل الأمر والنهي، والرفق يكون في حالة الأمر والنهي، والصبر يكون بعد الأمر والنهي.

عدم الكمال ليس مانعًا من الدعوة:

ومن الأمور المهمة التي على الداعية والآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يضعها في اعتباره أن عدم كماله في العمل بالطاعات والانتهاء عن المنكرات لا يمنع من واجبه في القيام بالدعوة إلى الخير والمعروف، أو قيامه في إنكار المنكرات وتغييرها؛ فقد قال العلماء: «لا يُشترط في الآمر والناهي أن يكون كامل الحال ممتثلاً ما يأمر به، مجتنبًا ما ينهى عنه، بل عليه الأمر وإن كان مخلاً بما يأمر به، والنهي وإن كان متلبسًا بما ينهى عنه؛ فإنه يجب عليه شيئان: أن يأمر نفسه وينهاها، ويأمر غيره وينهاه، فإذا أخل بأحدهما كيف يباح له الإخلال بالآخر»[٢].

عدم الاستجابة ليس مانعًا من الدعوة:

لا تسقط الدعوة إلى الله عن مسلم إذا ظن أنه لا يفيد، بل عليه أن يدعو إلى الخير وأن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بقدر استطاعته وبذلك تبرأ ذمته، أما القبول والاستجابة والهداية فليست إليه؛ فقد قال الله تعالى: ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا

(١) سورة لقمان، الآية: ١٧.

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي ٢/٢٣.

﴿ٱلْبَلَٰغُ﴾[١]؛ أي عليه البلاغ وليس له الهداية والتوفيق ولا الثواب، فالله عزَّ وجلَّ يهدي من يشاء ويضل من يشاء، وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة، وهو عليم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الضلالة، وهو الذي ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾[٢]؛ وما ذلك إلا لحكمته ورحمته.

الداعية المسلم فائز:

إن الداعية إلى الله فائز في جميع الأحوال؛ إما بأجر الدعوة، وإما بأجر الدعوة وأجر هداية الآخرين، وقد قال رسول الله ﷺ: «**فوالله! لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك من أن يكون لك حمر النعم**»[٣]، وهو مؤيد ومنصور من الله؛ لأنه يدعو إلى دينه الحق، فغيره من دعاة الأديان الأخرى يبذلون قصارى جهدهم وينفقون الأموال الطائلة في سبيل دعوتهم، وليس لهم عند الله إلا الوزر والسيئات، وأموالهم تصير حسرة عليهم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾[٤]. أما المسلم فهو على العكس من ذلك؛ فهو مأجور على كل حال، وقد وعد الله المنفق في سبيل الله أن يضاعفه أضعافًا كثيرة ويغفر له ويدخله الجنة، كما أن دعوته منصورة ومؤكدة النجاح ولا بد أن يكون لها آثار وثمار؛ لأنها دعوة إلى خاتم الأديان الموافق للفطرة التي فطر الله الناس عليها؛ الذي ارتضاه الله للناس جميعًا ولا يقبل دينًا غيره.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٩٩.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٢٣.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب: غزوة خيبر.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٣٦.